# القرآنُ وأدَبُ السّياسةِ المُلوكيّة العربيّ

## «قراءةٌ في عَهْدِ طاهِرِ بنِ الحُسَين لابنه عبدِ الله بنِ طاهِر»

أ.د. عيسى علي العاكوب(*)

**قصْدُ البحث:**

هذا بحثٌ أريدُ مِنه أن يُبيّنَ تأثيرَ القرآنِ الكريم في إبداعِ فنٍّ أدبيّ راقٍ عرفتْه الثّقافاتُ القديمة، وكان للثقافةِ العربيّة الإسلاميّة أن تأخذَ مِنه بنصيب، وهو أدَبُ العهودِ والوصايا ونصيحةِ المُلوك، أو ما يُعرَفُ بأدَبِ السّياسةِ المُلوكيّة. وقد بدأتْ طلائعُ نماذجِه تَتْرى منذُ أن أرسى نبيُّ الإسلام، محمّدٌ عليه الصّلاةُ والسّلام، دعائمَ دولةِ الإسلام في المدينة في القرن السّابع الميلاديّ، وبدأ خليفتُه الأوّل، أبو بَكْرٍ الصّدّيق رضيَ الله عنه، خلافتَه بخُطْبةٍ ذائعة الصّيت(١) حدّدَ فيها علاقتَه بالرّعيّة، طالبًا إليها الإعانةَ إذا أحسنَ، والتقويمَ إذا أساء، معترفًا بأنّه «ليسَ خيرَ الرّعية»، وأنّه يُحسِنُ ويُسيء. وقد توالَتْ نماذجُ هذا الفنّ الأدبيّ في الأعصُرِ اللّاحقة، حتّى عصْرِ الخليفة العبّاسيّ المأمون بن هارون الرّشيد، الذي ولّى عبدَ الله بنَ طاهرِ بنِ الحُسَين الرّقّةَ ومُضَرَ، فكتبَ له أبوهُ

---

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) انظر نصّ الخطبة في: ابن هشام، السّيرة النّبويّة، تحقيق مصطفى السّقا وآخَرين، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٥٥.

طاهِرُ بنُ الحُسَين عندَئذ عهدًا يمكّنه التزامُ مبادئه مِن تحقيقِ نَموذَجٍ للحاكِمِ المُسْلِم المؤدّي لحقّ الخالِقِ والمخلوقِ في سِياسة العِباد والبِلاد.

ويجعلُ البحثُ هدَفًا له بيانَ التأثير الذي تركَه القرآنُ في الصَّنْعة الأدبيّة في هذا العهد، مضمونًا وشكلًا، تفكيرًا وتصويرًا وتعبيرًا، والخلوصَ مِن ذلك إلى إيضاحِ الكيفيّة التي فعلَ فيها القرآنُ فعلَه في التأليف الأدبيّ في هذا الفنّ الخاصّ. ولتحقيق هذه البُغْية، يستلزِمُ الأمرُ معالجةَ الفِكَر الآتية:

١ – القرآنُ والعقلُ التأليفيّ المُسْلِم.

٢ – العهودُ والوصايا ونصائحُ الملوك في الأدَبِ العربيّ القديم.

٣ – طاهرُ بنُ الحُسَين وابنُه عبدُ الله بن طاهِر.

٤ – عهدُ طاهرِ بنِ الحسَين لابنه عبْدِ الله حين ولّاه المأمونُ الرّقّةَ ومُضَرَ مِن حَيثُ:

– المضمونُ العامّ.

– التأثيرُ القرآنيّ في العهد:

آ – في الفِكَر والمعاني.

ب – في اللّغة والصّياغة والمباني.

٥ – مستخلَصُ القول.

* * *

## ١ – القرآنُ والعقلُ التأليفيّ المُسْلِم:

يرجِعُ الدّينُ في رُقْعةِ النفس البشريّة إلى مستوى غايةٍ في العُمْقِ والرّسوخ والأصالة، وهو مستوًى في مقدور المُتديّن فيه أن يخاطِبَ نفسَه، ويعيَ صِدْقَ هذه النفس معَ ما يعتقدُ أنّه حقيقةٌ ثابتة لا سبيلَ إلى دَفْعها. وإذا كانَتْ هذه هي الصّورةَ في الأديان التي يعتقدُ المؤمنون بها بصوابها وصلاحيتها وسُموّها، فقد جلّاها الإسلامُ تجْليةً تامّةً في مؤدّى الحديثِ النّبويّ القائل: «إنّما الأعمالُ بالنيّات، وإنّما

لكلّ امرئ ما نَوى...»[٢]. ولعلّه في هذه النّقطةِ بالذّات يتحوّلُ المؤمنُ إلى مُمثِّلٍ للمبدأ والفكرة، نافٍ لذاتِه مِن أجْلِ ذاتٍ أخرى مختلفةٍ الاختلافَ كلّه، وهو الأمرُ الذي يعبِّرُ عنه شعرًا المفكّرُ المُسْلِمُ محمّد إقبال حينَ يقول:

جِدْ بَنَفْسِي الذّاتِ ذاتًا لا تهابْ اجتهِدْ واللهُ يَهديكَ الصّوابْ

ويعبّرُ عنه بصَنيعٍ مُماثلٍ الشّاعرُ العربيّ الكبير عُمَرُ أبو ريشة حينَ يقولُ:

وإذا راضتِ العقيدةُ قَلْبًا فمِنَ الصّعْبِ أن يكونَ أناني[٣]

وربّما ينفردُ العقلُ التأليفيُّ المُسْلِمُ بامتلاكِه مَعينًا معرفيًّا غيرَ متناهٍ، يحسَبُ المسْلِمُ أنّ البشريّة لم يُتح لها أن تحوز مِن مصادر المعرفة وينابيع الثّقافة ما هو أصحُّ منه وأحقّ. ومِن هنا جاء قولُ رسولِ الإسلام عليه الصّلاةُ والسّلام في وَصْفِ هذا المصدَر: «مَنْ قرأ القرآنَ ثمّ رأى أنّ أحدًا أوتيَ أفضلَ ممّا أوتيَ فقد استصغرَ ما عظّمَه اللهُ تعالى»[٤].

ويستشعِرُ العقلُ التأليفيُّ المسْلِمُ أنّ عليه دائمًا أن يأويَ إلى هذا الرّكْنِ الشديد الذي يُفيض عليه شعورًا بالطّمأنينةِ والاستنامة إلى شِعْبٍ مأمونٍ، كلُّ ما ينطوي عليه من فِكَر وتعاليمَ وأوامر ونواهٍ فيه تمامُ الخَيْريّةِ وكمالُ الصّحّةِ والحقيقة، فهو «كتابُ الله المنزَلُ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت: ٤٢] حتّى اتّسعَ على أهلِ الأفكار طريقُ الاعتبار بما فيه مِن القِصَص والأخبار، واتّضحَ به سلوكُ المنهجِ القويم والصّراطِ المستقيم بما فصّلَ فيه مِن الأحكام، وفرّقَ بينَ الحلالِ والحرام. فهو الضّياءُ

(٢) صحيح البخاريّ بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١ ص١٧.

(٣) ديوان عمر أبو ريشة، دار العودة، بيروت ١٩٩٦م، ص٥٤٨.

(٤) الغزاليّ، إحياء علوم الدّين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج١، ص٢٧٢.

والنّور، وبه النّجاةُ مَن الغُرور، وفيه شفاءٌ لِما في الصّدور. ومَنْ خالَفَه مِن الجبابرة قصَمَه اللهُ، ومَن ابتغى العِلْمَ في غيره أضلّه الله»[٥].

ويُلْحِفُ التوجيهُ الإسلاميّ على وجوبِ التّلاوةِ المستمرّة للقرآن، حتّى إنّه جاء في الحديث القُدْسيّ: «يقولُ الله تبارك وتعالى: مَنْ شغَلَه قراءةُ القرآن عن دُعائي ومسألتي أعطيتُه أفضلَ ثوابِ الشّاكرين»[٦]. وقد أيقنتِ الأجيالُ المُسْلِمةُ ذلك على امتداد العصور، حتّى إنّ عَمْرَو بنَ العاص يقولُ: «مَنْ قرأ القرآنَ فقد أُدرجَتِ النبوّةُ بين جَنْبَيْهِ إلّا أنّه لا يوحَى إليه»[٧]، ويقول أحمدُ بنُ حنبل: «رأيتُ اللهَ عزّ وجلّ في المنام، فقلتُ: « يا ربّ، ما أفضلُ ما تقرّبَ به المتقرّبونَ إليكَ؟ – فقال: «بكلامي، يا أحمدُ». قال قلتُ: « يا ربّ، بفَهْمٍ أو بغَيْرِ فَهْم؟ – قال: بفَهْمٍ وبغَيْرِ فَهْم»[٨].

وإذا كان العقلُ التأليفيُّ هو العقلَ المفكِّرَ المتأمّلَ العارضَ نتاجَه على الخَلْق كتابةً وتأليفًا، فإنّ العقلَ التأليفيّ المسْلِمَ لا محيدَ له عن أن يبقى في حِمى القرآن يستمدّ مِنه معانيَه وفِكَرَه، ويستنبطُ من تدبّره آيَهُ أنظارًا وآراءً لا تقعُ بعيدًا عن التّصوير الإلهيِّ للأشياء، على تفاوتٍ كبير في حُظوظِ المؤلّفينَ والكاتبينَ في هذا الميدان. بل يذهبُ بعضُ أرباب العقل التأليفيّ المسْلِم إلى أنّ أصنافًا من قارئي القرآن لا تُلتمَسُ معاني القرآن إلّا مِن القرآن نفسِه أو مِن كلامهم وحديثهم، وهذا ما يبيّنه شاعرُ الصّوفيّة الأكبرُ مَولانا جلالُ الدّين الرّوميّ (٦٠٤ – ٦٧٢هـ) في قوله المترجَم:

(٥) السّابق، ج١/ ص٢٧٢.
(٦) نفسه، ج١/ ص٢٧٣.
(٧) نفسه.
(٨) نفسه، ج١/ ص٢٧٤.

– التمسْ معنى القرآنِ مِنَ القرآنِ وحْدَه، ومِن شخصٍ أضرمَ النّارَ في هَوَسه وهواه،

– وصار قُرباناً للقرآنِ مزدرياً لنفسِه، حتّى صار عينُ رُوحِه قرآنًا،

– فالزّيتُ الذي صار كلّه فِداءً للوَرْد، سواءٌ أشممتَ مِنه الزّيتَ أم الوردَ[٩].

وفي الحياة الإسلاميّة، كان الكنزُ القرآنيّ مادّةً لإبداعٍ فكْريّ وفنّيّ مذهل، تجلّتْ آياتُه واضحةً في سَماءِ التأليفِ الإسلاميّ في الأصناف المختلفة للإنتاج الفكريّ والأدبيّ. ولا عجبَ، والحالُ كذلك، أن ينبثّ شُعاعُ الحساسيّة الإيمانيّة في جمهرة ما تركَ المسلمون المؤلّفون مِن آثار. وحينَ يكونُ الحديثُ عن الثّقافة العربيّة خاصّةً، يكونُ الحديثُ عن أرضِ التأليف التي أشرقَتْ بأَلْق القرآن ونور الإيمان الذي أتى به وبثّه في العقول وأذاعه على الألسنة. وحتّى حين يقصدُ العقلُ التأليفيّ المسْلِمُ إلى التحرّر مِن سُلْطان القرآن في الفِكْرِ واللّغة في تضاعيفِ التأليفِ والإنشاء الفكريّ والأدبيّ، يأتي بما تعافُه النفسُ وتمجُّه الأذُن. ولا تعدَمُ مِن أعلام الثّقافة المسلمينَ مَنْ يرى أنّ القرآنَ هو الذي تُؤتى به الحياةُ الرّاقية، كما يقول شاعرُ الإسلام محمّد إقبال:

مُسْلِمًا، إنْ تُردْ حياةً فهَيّا ... ما بغيرِ القرآنِ تُؤتى الحياةُ[١٠]

وفي مقدُورِ المتأمّلِ أن يقولَ إنّ صُحْبةَ العقلِ التأليفيّ المسْلِمِ القرآنَ صبغَتْه بلونٍ خاصّ مميّز، لا قدرةَ له على دَفْعه وتحاشيه في التفكير والقول والعمل. بل

(٩) أنّيماري شيمِل، الشّمس المنتصرة، دراسةُ آثار الشّاعر الإسلاميّ الكبير جلال الدّين الرّوميّ، الترجمة العربيّة التي أعدّها عيسى علي العاكوب، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران ٢٠٠٠م، ص١٨.

(١٠) محمّد إقبال، ضربُ الكليم، ترجمة عبد الوهّاب عزّام، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٢م، الصفحة غ.

في مُستطاعِنا القولُ إنّه كلّما متَحَ المؤلّفُ المسْلِمُ من فَيْضِ المَعينِ القرآنيّ ازدادَ قُربًا مِن قُلوبِ جمهوره، ورجحَتْ كِفّةُ إنتاجِه في ميزان التقويم الإبداعيّ. ومضمارُ الإبداعِ المعتمِدُ على الاستمدادِ مِن القرآن ممتدٌّ إلى آفاقٍ بعيدة، وهذا ما نبّه عليه الإمامُ الغزاليّ رحمه اللهُ في قوله: « جاز لكلّ واحدٍ أن يستنبطَ مِن القرآن بقَدْرِ فَهْمِه وحَدّ عَقْلِه»(١١).

وخُلاصةُ القولِ في شأنِ سُلْطانِ القرآن على العقل التأليفيّ المسْلِم، أنّ المعارفَ الإلهيّةَ القرآنيّةَ والمبادئ الحاكِمةَ، أو ما يسمّى «حُكْم الله»، تظلّ أمدادًا دافقةً في تيّار الإبداع الفكريّ والأدبيّ لدى المسْلِم، الذي يقرأ القرآنَ يوميًّا في صَلَواتِه وفي المصحَفِ ويستمِعُ إليه مِن الآخرين.

أمّا حينَ يكونُ صاحِبُ العقل التأليفيّ متولّيًا لشأنٍ من شؤون المسلمين، فإنّ رِيّه من اليَنبوع القرآنيّ يكون أكبر، واستغزارَه أكثرَ. فالموقفُ الذي عليه جمهرةُ المسلمين أنّ الحاكمَ المسْلِم ليس سوى مُنفّذ لمراد الله عزّ وجلّ مِن الناس، كما يقول أوّلُ الرّاشدين: «إنّ اللهَ عزّ وجلّ لا يقبلُ مِن الأعمال إلّا ما أُريدَ به وجهُهُ؛ فأريدوا اللهَ بأعمالِكم، واعلموا أنّ ما أخلصتُم لله مِن أعمالِكم فطاعةٌ أتيتُموها وحَظٌّ ظفرتُم به وضرائبُ أدّيتُموها وسلَفٌ قدّمتمُوه من أيّامٍ فانيةٍ لأخرى باقية، لحين فَقْرِكم وحاجتكم»(١٢). ولأنّ الأمرَ كذلك، ينبغي أن يكون هذا الحاكمُ كثيرَ المراجَعةِ للقرآن، طالبًا وَعْظَ الوعّاظ الدّالّين على هذا المراد.

## ٢ – العهودُ والوصايا ونصائحُ الملوك في الأدب العربيّ القديم:

عرفَ التأليفُ الأدبيّ العربيّ عددًا مِن المصنّفات التي تعالج طريقةَ الحُكم،

(١١) إحياء علوم الدّين (سابق) ج١/ ص٢٩٠.

(١٢) الطّبريّ، تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت، د.ت، ج٦/ ص٢١١.

أو السّلوكَ العمَليّ الذي ينبغي أن يأخذَ الحاكمُ نفسَه به في تَعامُله مع نفسِه ومعَ رعيّته المنتمية إلى مملكته. وأشهرُ المؤلّفاتِ في هذا المجال عرَفتْه الحياةُ الأدبيّة في الأعصر العبّاسيّة (١٣٢ – ٦٥٦هـ). ومِن هذه المؤلّفات ما مصدرُه فارسيٌّ، تُرجِم إلى العربيّة. ويُقدِّمُ كتابُ «عهد أَرْدَشير» تمثيلًا وافيًا لهذا الصّنف مِن التأليف. ويبيّنُ محقّقُ الترجمة العربيّة لهذا الكتاب، الأستاذُ الدكتور إحسان عبّاس، قيمةَ هذا الأثَر بالقول: «وإذا كان العهدُ وصيةً جامعةً لمؤسِّسِ دَولةٍ، جمعَ فيها تجاربَه التي عانى طويلًا في اكتسابها، ونخَلَ فيها هذه التجاربَ ثمّ نسّقها معًا، وكان هذا المؤسّسُ الكبيرُ جامعًا لخلال الذّكاء وبُعْدِ النّظَر والعدالة، مِثْلَما كان أرْدَشير، فمن الطبيعيّ أن يصبحَ العهدُ الذي يكتبه دستورًا لمن جاء بعْدَه، ويضفي الزّمنُ على هذا الدّستور صِبغةً من الرّفعة والجلالة، فيصبح معتَمَدًا سياسيًّا أو «إمامًا»، كما قال علماءُ الفُرْس ونَقَلةُ أخبارهم. وممّا يشهَدُ لقيمةِ «عَهْد أرْدَشير» في سياسة الفُرْس أن ظلّوا يحتفظونَ به على مدى الزّمن، ثمّ أن تكونَ هذه القيمةُ نفسُها سببًا في المبادرة إلى ترجمته إلى العربيّة، وجَعْلِه مادّةً في ثقافة رِجالِ الحُكْم ورجالِ السّياسة، وبخاصّةٍ طبَقة الكُتّاب في الدّولة العبّاسيّة»[١٣].

وفي مُتناوَلِ المتأمّل أن يقولَ إنّ عمَليّةَ ترجمة مِثْل هذا الكتاب، في الأعصُرِ الأولى، لا بدّ مِن أن تكونَ خضعَتْ لإعدادٍ جديد وضُروبِ تعديلٍ تجعلُ مادّتَها مُوائمةً للتيّارِ الفِكْريّ الإسلاميّ العامّ. ولا يجدُ الدّارسُ، في أمثالِ هذه المصنّفات، مطالبَ مُضادّةً للتّوجيهِ الإسلاميّ في موضوع الحُكْم والإدارة؛ نظَرًا إلى أنّ العقلَ التأليفيّ المسْلِم مُضطَرَبُه الإطارُ الفكريّ العامّ الذي حدّده القرآنُ والسّنّةُ النبويّةُ والسّلوكُ العامّ الذي مضَتْ عليه حياةُ الحُكّام معَ رعيّتهم.

(١٣) أرْدَشير بن بابك، عهد أردشير، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٧م، ص٢١.

وفي النّطاقِ الذي نحنُ إزاءَه في هذا البحث، يكونُ لدى الرّعية دائمًا تصوّرٌ أدنى إلى المثالِ لِلْحاكِم المنفّذ للمبادئ العامّة. ويستمرّ ذلك حتّى حِينَ يتوالى على حُكْم الأمّة لزمنٍ متطاول وُلاةُ أمرٍ لا يُقيمونَ وَزْنًا كبيرًا للأحكام الشّرعيّة.

ويبدو أنّ الحياةَ الثّقافيّة العربيّة عرفَتْ هذا اللّونَ مِن التّصانيف منذُ أواخِرِ العَصْر الأمويّ، إذ ترجَمَ ابنُ المقفّع عن الفارسيّة كُتبًا تنتمي إلى هذا النوع الأدبيّ، مِن مِثْل خُداينْ نامه وآيين نامه وكليلة ودمنة وكتاب مَزْدَك وكتاب التّاج في سِيرة أنوشروان. وعرفَ العصرُ العبّاسيّ الأوّل (١٣٢ - ٢٣٤هـ) أسماءَ عدَدٍ من الكتُبِ المؤلَّفة في هذا النّوع الأدبيّ؛ مِنها كتابُ اليتيمة في السُّلْطان، وكتابُ رِسالة الصّحابة، وهما لابن المقفّع؛ وكتابُ تدبير المُلْك والسّياسة لِسَهْلِ بن هارون؛ وعهد طاهر بن الحسين (ت ٢٠٧هـ) لابنه عبدِ الله، وهو مَجالُ مُناقشتنا في هذا البحث؛ وكتابُ سياسة الملوك لأبي دُلَف العِجْليّ (ت٢٢٥هـ)؛ وكتابُ السّلطان للجاحظ (ت٢٥٥هـ)؛ وكتابُ السّلطان لابن شَبّة (ت٢٦٢هـ)؛ وكتابُ السّياسة الملوكيّة لعُبيدِ الله بنِ عبْدِ الله بنِ طاهر[١٤].

ويبدو أيضًا أنّ مادّةَ هذه الكُتُب كانت جزءًا مِن التأسيس الثّقافيّ للحاكِم المسْلِم في العصر العبّاسيّ، جزءٌ لصيقٌ بالقرآن الكريم. وفي هذا يقول المُبَرِّدُ محمّدُ بنُ يَزيدَ (ت ٢٨٥هـ): «و يُروى أنّ المأمون أمرَ مُعلِّمَ الواثِق بالله، وقد سألَه عمّا يُعلّمه إيّاه، أن يُعلّمَه كتابَ الله، جلّ اسمُه، وأن يُقرئه عهْدَ أرْدَشير، ويُحفِظَه كتابَ كليلة ودمنة»[١٥].

(١٤) عيسى علي العاكوب، تأثير الحِكَم الفارسيّة في الأدب العربيّ في العصر العبّاسيّ الأوّل، الطّبعة الثانية، دار الهدى، طهران، ٢٠٠٦م، ص٢٤٣ - ٢٤٤.

(١٥) كتاب الفاضل في الأدب، ص ٤؛ نقلًا عن عهد أرد شير، ص٣٤.

### ٣ – طاهرُ بنُ الحُسَين وابنُه عبدُ الله بنُ طاهر:

تنتمي أسرةُ الطاهريّين إلى أَرومةٍ فارسيّة خُراسانيّة، تهيّأ لعدَدٍ من أفرادها أن يكونوا مِن المُرسِّخين لسُلْطانِ العبّاسيّين في العصر الذّهبيّ لدولتهم. ويُقال إنّ جَدّ طاهرٍ هو رُزَيقُ بنُ ماهان، الذي كان مولى طَلْحةَ الطّلَحات الخزاعيّ، المشهورِ بالكرَم والجُود المفْرِط[١٦]؛ فهم خُزاعيّون وَلاءً.

وما يُهِمُّنا هنا هو أبو الطّيّب طاهرُ بن الحسينِ بنِ مُصْعَب بن رُزَيق، وابنُه عبدُ الله. أمّا طاهرٌ فقد كان «مِن أكبَرِ أعوانِ المأمون، وسَيّرَه مِن مَرْوَ، كرسيِّ خُراسانَ، لَمّا كان المأمونُ بها، إلى مُحاربة أخيهِ الأمينِ ببغداد لَمّا خلَعَ المأمونُ بَيعتَه»[١٧]. وتذكرُ الأخبارُ أنّ طاهرًا توجّهَ بجيشِه إلى بغدادَ لخَلْعِ الأمين والتّمكينِ للمأمون فلَقيَه جيشُ الأمين بقيادة عليّ بن عيسى بن ماهان في الرَّيّ، وقُتِل عليُّ بن عيسى في هذه المعركة. وقد «تقدّمَ طاهرٌ إلى بغدادَ، وأخذَ ما في طريقه مِن البلاد، وحاصرَ بغدادَ والأمينُ بها، وقتلَه يومَ الأحَد، لِستّ، أو أربعٍ، خلَوْنَ من صَفَر سنةَ ثمانٍ وتِسْعينَ ومئة»[١٨].

وفي نَعْتِ طاهرٍ أنّه «كان شُجاعًا أديبًا.. وكان يعجبُه الشّعرُ»[١٩]، وأنّه يجزل العطاءَ لِمَن يقدِّمُ بينَ يدَيه شعرًا يحرّك نفسَه ويَهزّ طبعَه. ومِن ذلك ما يُروى مِن أنّه «ركبَ يومًا ببغدادَ في حَرّاقته، فاعترضَهُ مُقدِّسُ بنُ صيفيّ الخَلُوقيّ الشاعرُ، وقد أُدنيَتْ مِن الشّطّ ليخرجَ، فقال: أيّها الأميرُ، إنْ رأيتَ أن تسمَعَ مِنّي أبياتًا؟ – فقال: قُلْ، فأنشأ يقولُ:

---

(١٦) ابن خَلِّكان، وفياتُ الأعيان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ج٢، ص٥١٧.
(١٧) المرجع السابق، ج٢، ص٥١٧.
(١٨) نفسه، ج ٢، ص٥١٨.
(١٩) نفسه، ج٢، ص٥١٩.

عَجِبْتُ لِحَرّاقةِ ابنِ الحُسَيْـ ـنِ، لا غرِقَتْ، كيفَ لا تغرَقُ؟
وبَحْرانِ: مِن فَوْقِها واحِدٌ، وآخَرُ مِن تحتِها مُطْبِقُ
وأعجَبُ مِن ذاكَ أَعْوادُها وقَدْ مَسَّها، كيفَ لا تُورِقُ

فقال طاهرٌ: أعطُوه ثلاثةَ آلافِ دينار، وقال له: زِدْنا حتّى نزيدَك؛ فقال: حَسْبي»[٢٠].

ويُفهَمُ مِن سيرة حياته أنّه كان مُحِبًّا كثيرًا للشّعر، كما أسلَفْنا، وأنّ بعضَ الشعراء كأنّه اختصّ به. إذ «يُحكَى أنّ إسماعيلَ بنَ جَرير البَجَليّ كان مَدّاحًا لِطاهرٍ المذكور، فقيل له: إنّه يَسْرِقُ الشّعرَ ويمدحُك به. فأحبّ طاهرٌ أن يمتحنَه، فقال له: تهجوني، فامتنعَ، فألزَمه بذلك، فكتبَ إليه، وكان طاهرٌ بعَيْنٍ واحِدة:

رأيتُكَ لا تَرى إلّا بعَيْنٍ وعَينُكَ لا تَرى إلّا قَليلا
فأمّا إذْ أُصِبْتَ بفَرْدِ عَيْنٍ فَخُذْ مِن عَيْنِكَ الأخرى كَفيلا
فقَدْ أيقنتُ أنّكَ عن قريبٍ بظَهْرِ الكفّ تلتمسُ السّبيلا

فلمّا وقفَ عليها قال له: احذَرْ أن تُنشدَها أحدًا، ومزّق الورقة»[٢١].

ويبدو أنّ طاهرًا هذا كان قائدًا مبرّزًا، وقد فتحَ العراقَ وبلادَ الجبل وفارسَ والأهوازَ والحجاز واليمنَ لمصلحة المأمون. وأمَرَه المأمونُ بعد أن استقلّ بالأمر بعد قَتْلِ الأمين أن يُسلّمَ هذه البلادَ إلى الحسَنِ بنِ سَهْل، وأن يتوجّهَ هو إلى الرّقّة ويكونَ واليًا على الموصِل والجزيرة الفراتيّة والشّام والمغرب[٢٢]. ويقالُ: إنّ المأمونَ استخلَفَ ولدَه طلْحةَ بنَ طاهر على خُراسان[٢٣].

(٢٠) وفيات الأعيان، نفسه.
(٢١) نفسه، ج٢، ص٥٢٠.
(٢٢) نفسه.
(٢٣) نفسه.

والظّاهرُ أنّ عدَدًا مِن رجال هذه الأسرة مُعْرِقونَ في أمرَيْنِ: سياسة الـمُلْك، وامتلاك ناصية البلاغة في العربيّة. إذ تذهبُ الرّواياتُ إلى أنّ جَدّ طاهرٍ، مُصْعَبَ بنَ رُزَيق، كان كاتبًا لسليمان بن كَثير الخزاعيّ الدّاعية لبني العبّاس، وأنّه كان بليغًا لَسِنًا، ومما يُحفَظُ مِن كلامه: «ما أحوجَ الكاتبَ إلى نَفْسٍ تسمُو به إلى أعلى المراتب، وطَبْعٍ يقودُه إلى أكرمِ الأخلاق، وهمّةٍ تكفّه عن دَنَسِ الطّمَع ودناءةِ الطّبع»[٢٤]. ولعلّ هذا المحفوظَ مِن كلامه ممّا ينبّه على أنّه جارٍ مِن البلاغة على عِرْق، وأنّ الإدارةَ وسياسةَ الـمُلْك مِن الشّواغلِ المستبِدّة ببعض رجال هذه الأسرة. ولا يكونُ مستغرَبًا والحالُ كذلك أن يتركَ طاهِرُ بنُ الحسين عَهْدًا في موضوع السّياسة الملوكيّة لابنه عبدِ الله، حينَ ولّاه المأمونُ الرّقّةَ ومُضَر. وهو الـمَتْنُ الأدبيّ الذي سنقفُ عندَ تأثير القرآن فيه، كما يبيّن عنوانُ البحث. وقد وافتِ المنيّةُ طاهرًا سنةَ سبع ومئتين للهجرة في مدينة مَرْو[٢٥].

أمّا عبدُ الله بنُ طاهر، أبو العبّاس، فيبدو أنّه ورثَ عن أبيه وأجداده رياسةَ السّيف والقَلَم، و «كان.. سيّدًا نبيلًا، عاليَ الهمّة شَهْمًا، وكان المأمونُ كثيرَ الاعتمادِ عليه حسَنَ الالتفاتِ إليه لِذاتِه، ورعايةً لحقّ والدِه وما أسلفَه مِن الطّاعة في خِدْمته، وكان واليًا على الدّينَوَر»[٢٦].

ويبدو أنّ المأمونَ كان يستعين به في خَضْدِ شوكةِ بعض الخارجينَ عليه، وأنّه ولّاه ولاياتٍ كثيرةً. والظاهرُ أيضًا أنّه مِن رُعاة الأدَب والشّعر الكبار في عصره، وأنّ مِن منتجِعي جَنابه الشاعرَ أبا تمّام، الذي يمّمَ شطْرَه مِن العراق، وعندَما وصلَ إليه أنشدَه قصيدته «البديعة البائية» التي يقولُ فيها:

---

(٢٤) وفيات الأعيان، المرجع نفسه، ج٢، ص٥٢٢.

(٢٥) نفسه، ج٢، ص٥٢١.

(٢٦) نفسه، ج٣، ص٨٣.

فقَدْ بثَّ عبدُ اللّٰهِ خوفَ انتقامِه على اللّيلِ حتّى ما تَدِبُّ عقاربُهْ[٢٧]

وتحتفظُ المصادرُ لعبدِ الله هذا ببعض الأشعار وبشيء مِن الكلام الحكيم. ويجعلونَ مِن مشهور شِعْره قولَه:

اغتفرْ زَلّتي لِتُحْرزَ فضْلَ الشُّ ـكْرِ مِنّي، ولا يفوتَكَ أَجْري
لا تَكِلْني إلى التّوسّلِ بالعُذْ رِ لَعلّي أنْ لا أقومَ بعُذري[٢٨]

وممّا يُحفَظُ مِن كلامِه الحكيم: «سِمَنُ الكِيس ونُبْلُ الذّكْرِ لا يجتمعانِ في موضعٍ واحِد»[٢٩].

ومِثْلَما قُلْنا قبلُ، كان عبدُ الله بنُ طاهر عَضُدًا للمأمون وسيفًا يسلّه على البُغاة مِن أعدائه، شأنُه في ذلك شأنُ أبيه. ويتحدّثُ الطّبريُّ في أحداث سَنةِ ستّ ومئتين عن أنّ المأمون ولّى عبْدَ الله هذا الرّقّةَ، لحرب نَصْر بن شَبَث ومُضَر. ويفصّلُ الطّبريّ في حديثِ التّوليةِ هذا فيقولُ: «وكان السّببَ في ذلك، فيما ذُكِر، أنّ يحيى بنَ مُعاذ كان المأمونُ ولّاه الجزيرةَ فماتَ في هذه السّنة، واستخلفَ ابنَه أحمدَ على عمَله. فذُكِر عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق أنّ المأمونَ دعا عبدَ الله ابنَ طاهر في شهر رمضانَ، فقال بعضٌ كان ذلك سنةَ ٢٠٥هـ، وقال بعضٌ في سَنةِ بضعٍ، وقال بعضٌ في سنة (٧)، فلمّا دخلَ عليه قال: يا عبدَ الله، أستخيرُ اللهَ منذُ شهرٍ، وأرجو أن يَخيرَ اللهُ لي. ورأيتُ الرّجلَ يصِفُ ابنَه ليُطريَه لرأيه فيه وليرفعَه، ورأيتُكَ فوقَ ما قال أبوكَ فيكَ، وقد مات يحيى بنُ مُعاذ واستخلَفَ ابنَه أحمدَ بنَ يحيى، وليس بشيء. وقد رأيتُ توليتَكَ مُضَرَ ومحاربةَ نَصْرِ بنِ شَبَث.

(٢٧) وفيات الأعيان، ج٣، ص٨٥.
(٢٨) نفسه، ج٣، ص٨٦.
(٢٩) نفسه، ج٣، ص٨٧.

فقال: السّمْعُ والطّاعةُ يا أميرَ المؤمنين، وأرجو أن يجعل اللهُ الخِيَرةَ لأمير المؤمنين وللمسلمين. قال فعَقَد له، ثمّ أمرَ أنْ تُقطعَ حِبالُ القَصّارينَ عن طريقه وتُنحّى عن الطّرقات المظالُّ؛ كيلا يكونَ في طريقه ما يردّ لِواءَه. ثمّ عقَدَ له لواءً مكتوبًا عليه بصُفرةٍ ما يُكتبُ على الألوية، وزاد فيه المأمونُ: «يا منصور»(٣٠).

وجليٌّ تمامًا فيما تقدّمَ مقدارُ اعتمادِ المأمون على عبدِ الله والاحتفاءِ البالغ الذي أحاطَ به مُناسَبةَ توليته. كما يتّضحُ أنّ والدَه كان قد زكّاه عندَ المأمون وأظهرَ له مواهبه، وأنّ المأمونَ رأى فيه مِن الخِلال والكِفايات فوقَ ما ذكره له أبوه طاهر. ويتبيّنُ أنّ الوالدَ كان منشغلًا كثيرًا بنجاحِ ابنه في المهمّة التي أُنيطت به؛ ومِن هنا كتبَ له حينَ توليته الرّقّةَ عهدًا أوضح له فيه كلّ ما ينبغي عليه أن يقوم به. لكي يستقيمَ له الأمرُ ويُحسِنَ التصرّفَ في إدارة شؤون البلاد والعباد. وفي هذا يقولُ الطّبريُّ: «وكان طاهِرٌ حين وُلِّي ابنُه عبدُ الله ديارَ ربيعةَ كتبَ إليه كتابًا نُسختُه: «عليكَ بتقوى الله وحْدَه، لا شريكَ له..»(٣١).

وينقلُ صاحبُ الوفياتِ عن الطّبريّ أنّ وفاةَ عبدِ الله كانَتْ في نَيْسابورَ، يومَ الاثنين لإحدى عَشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن ربيع الأوّل مِن سَنةِ ثلاثينَ ومئتين(٣٢).

ومُحصَّلُ ما تقدّمَ أنّ آلَ طاهرٍ، بَدْءًا من مُصْعَب بن رُزَيق جَدِّ طاهر، إلى طاهرٍ فعَبْدِ الله بن طاهرٍ، كانوا مِن المبرّزينَ في رياسَتي السّيفِ والقلَم، وكانوا ممّن يُشار إليهم بالبنان في أدب السّياسة الملوكيّة خاصّةً؛ بل سرى هذا الميراثُ الأدبيّ حتّى وصلَ إلى عُبيدِ الله بن عبد الله بن طاهر، الذي تذكر المصادرُ مِن

(٣٠) تاريخ الأمم والملوك (سابق)، ج١٠، ص٢٥٨.

(٣١) السّابق نفسه.

(٣٢) وفيات، ج٣، ص٨٨.

آثاره «كتاب السّياسة الملوكيّة»[٣٣]. ولدينا حَدْسٌ يقاربُ اليقينَ أنّ انتماءَ هذه الأسرة إلى أصولٍ فارسيّة، واطّلاعَ بعض أفرادها على موروثٍ فارسيّ في هذا الجنس الأدبيّ، وتولّيَهم مناصِبَ إداريّةً وعسكريّة في دولة بني العبّاس، مِن عوامِلِ تفوّقهم في الإدارة والتدبير والتأليف في أدبِ السّياسة الملوكيّة.

## ٤ – عهدُ طاهرٍ لعَبْدِ الله:

العَهْدُ، في اللّغة، الوَصيّةُ. من عَهِدَ إليه بمعنى أوصاه[٣٤]. ويُرادُ مِنه في المقام الذي نحنُ فيه ما يُكتَب للوالي عندَ تولّيهِ مِن تعاليمَ و وصايا توضِحُ له السّلوكَ الذي ينبغي عليه أن يطبّقه في حُكْمه وإدارته. وقد تحدّث ابنُ خلدون في مقدّمته، في فَصْل «أنّ العمرانَ البشريّ لا بدّ له من سياسة ينتظم بها أمرُه»، عن أنّه لا بدّ للبشَر في الاجتماعِ من وازعٍ حاكِمٍ يرجعون إليه، وأنّ حُكْمَه فيهم يستنِدُ إمّا إلى شَرْعٍ مُنزَلٍ مِن عند الله وإمّا إلى سياسة عقليّة. وبيّن موقفَ مُلوكِ المسْلِمين مِن هذه السياسة العقليّة حيث يقول: «إلّا أنّ مُلوكَ المسلمينَ يَجْرونَ مِنها على ما تقتضيهِ الشّريعةُ الإسلاميّة بحسَبِ جُهْدِهم؛ فقوانينُها إذن مجتمعةٌ مِن أحكامٍ شَرْعيّة وآدابٍ خُلُقيّة وقوانينَ في الاجتماعِ طبيعيّة وأشياءَ مِن مُراعاة الشوكة والعصبية ضروريّة؛ والاقتداءُ فيها بالشّرع أوّلًا، ثم الحُكماءِ في آدابهم والملوكِ في سِيَرهم»[٣٥].

وابتغاءَ أن يقدِّم ابنُ خلدون نموذجًا طيّبًا للسياسة العقليّة الإسلاميّة في الحُكم، يُثني ثَناءً جَمًّا على عَهْدِ طاهِرِ بنِ الحسين لابنه عبْدِ الله، ويبيّنُ مُناسبةَ كتابة

(٣٣) تأثير الحِكَم الفارسيّة في الأدب العربيّ (سابق) ص٢٤٤، نقلًا عن الفهرست للنّديم، ص١١٧.

(٣٤) القاموس المحيط، مادّة «ع هـ د».

(٣٥) مقدّمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٤م، ج٢، ص٧٢٤ – ٧٢٥.

هذا العهد، حيث يقولُ: «ومِن أحسَنِ ما كُتبَ في ذلك وأُودِعَ، كتابُ طاهِرِ بنِ الحسين لابنه عَبْدِ الله بن طاهرٍ لَمّا ولّاه المأمونُ الرّقّةَ ومُضَر وما بينهما(*). فكتب إليه أبوه طاهرٌ كتابَه المشهور، الذي عَهِد إليه فيه ووصّاه بجميع ما يحتاج إليه في دَولته وسُلْطانه مِن الآداب الدّينيّة والخُلُقيّة والسّياسة الشرعيّة والملوكيّة، وحثّه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، بما لا يستغني عنه مِلكٌ ولا سُوقة»(٣٦).

ويبدو أنّ الحاكِمينَ في الدّولة العربيّة، في ذلك الوقت، كانوا يستشعرون حاجةً إلى مُدوَّنةٍ في التّربية السّياسيّة والإداريّة، تُقدِّمُ لهم صُورةً مِثاليّة للحاكم المَرْضيّ دِينًا ودنيا. ويبيّن ابنُ خلدون المنْزلةَ العَلِيّة التي أُحِلّها هذا العهدُ عند حكّام ذلك الزمان إذ يقول: «وحدّثَ الأخباريّون أنّ هذا الكتابَ لمّا ظهرَ وشاع أمرُه أُعجِب به النّاسُ، واتّصلَ بالمأمون، فلمّا قُرئ عليه قال: ما أبقى أبو الطّيّب، يعني طاهرًا، شيئًا مِن أمور الدّنيا والدّين والتّدبير والرّأي والسياسةِ وصَلاح المُلْك والرّعيّة وحِفظ السّلطان وطاعة الخُلفاء وتقويم الخلافة إلّا وقد أحكمَه وأوصى به. ثمّ أمر المأمونُ فكُتِبَ به إلى جميع العُمّال في النواحي؛ ليقتدوا به ويعمَلُوا بما فيه. هذا أحسنُ ما وقفتُ عليه في هذه السياسة. واللهُ أعلمُ»(٣٧).

---

(*) كذا في مقدِّمة ابن خلدون، والذي في تاريخ الطّبريّ في تضاعيف الحديث عن أحداث سنة ٢٠٦هـ: «وفيها ولّى المأمونُ عبدَ الله بنَ طاهِرٍ الرَّقّةَ لِحَرْبِ نَصْرِ بنِ شَبَث ومُضَر» ج١٠، ص٢٥٨، وفيه أيضًا: «كان خروجُ عبدِ الله الصّحيحُ إلى مُضَرَ لقتال نَصْرِ بنِ شَبَث بعْدَ خروجِ أبيه إلى خُراسانَ بستّةِ أشهُر. وكان طاهِرٌ حينَ ولِيَ ابنُه عبدُ الله ديارَ ربيعةَ كتبَ له كتابًا نُسختُه..» نفسُه. ولعلّ في قول ابن خلدون هذا خطأً منشؤه قراءتُه مُضَرَ في صورة «مِصْر»، إذ تصحّفتْ عليه الكلمةُ. وبِناءً على هذا أضافَ مِن عندِه: «وما بينَهما».

(٣٦) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٧٢٥.

(٣٧) نفسه، ج٢، ص٧٣٥.

- المضمونُ العامُّ للعهد:

تنتمي فِكَرُ عهْدِ طاهرٍ إلى موضوعٍ واحدٍ هو جملةُ التّعاليم والنّصائح والتّوجيهات التي يؤدّي التطبيقُ الدقيقُ لها إلى أن يكون الحاكمُ، أو الوالي، جيّدَ الاعتقاد والعمَل والقَول؛ فيما يخصُّ ذاتَ نفسِه، وفيما يتعلّق بمن يتولّى أمرهم. وقد بيّن ابنُ خلدون ذلك بالقول الذي ذكرناه قبلُ: «وصّاهُ بجميعِ ما يحتاج إليه في دَولته وسُلْطانه مِن الآداب الدّينيّة والخُلُقيّة، والسّياسة الشّرعيّة والملوكيّة، وحثَّه على مكارِمِ الأخلاق ومحاسِن الشِّيَم، بما لا يستغني عنه ملِكٌ ولا سُوقة». فالمضمونُ العامُّ للعهد هو كلّ مُستلزَماتِ الحاكِم في إدارة دولته وسلطانه. ونوافق ابنَ خلدون على تقسيمها على ثلاثة أقسام:

١ - الآداب الدّينيّة والخُلُقيّة.

٢ - السّياسة الشرعيّة والملوكيّة.

٣- الحثّ على مكارِمِ الأخلاق ومَحاسِن الشّيَم.

ونجدُ أنفسَنا مُضطرّينَ إلى التفصيل في الفِكَر التي انطوى عليها العهدُ في هذه الموضوعات الثلاثة؛ لكي يكونَ في مُتناوَلِ القارئ الكريم ما يُساعدُه على إدراكِ روح المعاني في هذا الجِنْس الأدبيّ، وتبيّنِ آثارِ القرآن الكريم في مضموناته وصياغاته.

أمّا الآدابُ الدّينيّة والخُلُقيّة فرأسُها في هذا العَهْدِ تقوى الله عزّ وجلّ وحْدَه، وخشيتُه ومُراقبتُه، وفعلُ ما يرضيه سُبحانَه ومُجانَبةُ ما يُسخِطُه. ويلحّ العهدُ على أداءِ المفروضات، والصّلواتِ الخمس خاصّةً، كما ينبغي أن تؤدّى، وعلى وجوبِ اتّباعِ سُنَنِ رسولِ الله، عليه الصّلاةُ والسّلام، وسُنَنِ الصالحينَ مِن بعْدِه، والتزامِ الأوامر والنواهي التي جاء بها التنزيلُ، والأخذِ بما أحلّ الله، والتّركِ لما حرّم،

وإيثارِ صُحْبة أهلِ الفِقْه والدّين وحَمَلَة القرآن، والإلحاحِ في طلَب الآخِرة والأجْر والأعمال الصالحة، وإحسانِ الظنّ بالله تعالى، ومخالفةِ الشيطان، وإقامةِ حدود الله، والاعتصامِ بحَبْله، والوقوفِ عند محبّته، والعَمَلِ بشريعته وسنّته.

وأمّا السّياسةُ الشرعيّةُ فتتمثّل مبادئُها، في هذا العَهْد، في وجوبِ الرأفة بالرعيّة وسياستِها بالعَدْل وحمايتها وحَقْنِ دمائها وإدخالِ الرّاحة علَيها، وعدَمِ اتّهام عاملٍ مِن عُمّالِ الدّولة قبْلَ انكشاف أمره. ولا يعني حُسْنُ الظنّ بالعُمّال تركَهم وشأنَهم، بل لا بدّ مِن مُراقَبةِ سلوكهم، وحِياطةِ الرّعيّة والنظَر في حاجاتهم.

ومِن المعالم الواضحة في السّياسة الشّرعيّة، في هذا العهد، سلوكُ طريق الدّين وإقامةُ حدود الله. إذ يقول صاحبُ العهد موجّهًا الخطابَ لابنه: «واسلُكْ بمَنْ تسوسُه وترعاه نهجَ الدّين وطريقَه الأهدى. وأقِمْ حدودَ الله تعالى في أصحابِ الجرائم على قَدْر منازلهم وما استحقّوه، ولا تعطّلْ ذلك ولا تتهاونْ به، ولا تؤخّرْ عُقوبةَ أهلِ العقوبة»(٣٨).

ويلحّ العهدُ على ضرورةِ إنفاقِ المال في صلاحِ الرّعية، وإعطائها حقوقَها وكفّ الأذى عنها، وفي هذا يقول: «واعلمْ أنّ الأموالَ إذا اكتُنزتْ وادُّخِرتْ في الخزائن لا تنمو؛ وإذا كانَتْ في صَلاحِ الرّعيّة وإعطائهم حقوقَهم وكفّ الأذيّة عنهم نمتْ وزكتْ وصلحت بها العامّةُ، وترتّبت بها الوِلايةُ، وطاب الزّمانُ»(٣٩).

ومُجانَبةُ الشُّحّ أمرٌ لا بدّ مِنه للحاكم؛ لدَفْعِ أنواعٍ مِن الفساد تفتِكُ بالدّولة وتهدِمُ الكيان؛ إذ «ليس شيءٌ أسرعَ فسادًا لِما استقبلْتَ فيه أمرَ رعيّتك مِن الشُّحّ. واعلمْ أنّك إذا كنتَ حريصًا كنتَ كثيرَ الأخْذ قليلَ العطيّة؛ وإذا كنتَ

(٣٨) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٧٢٨.
(٣٩) نفسه، ج٢، ص٧٢٩.

كذلك لم يستقمْ أمرُكَ إلّا قليلًا، فإنّ رعيّتَكَ تعقِدُ على محبّتكَ بالكفّ عن أموالهم وتَرْك الجَوْرِ علَيهم»(٤٠).

والعَدْلُ ومُستلزَماتُه ركنٌ ركينٌ في صَرْحِ السياسة الشّرعيّة والملوكيّة، وهو أساسُ المُلْك الذي عليه يُبنى بنيانُه ويتطاول. ويقول العهدُ في هذا الشأن: «واعلَمْ أنّ القضاءَ مِن الله تعالى بالمكانِ الذي ليس فوقَه شيءٌ مِن الأمور؛ لأنّه ميزانُ الله الذي تَعْدِل عليه أحوالُ النّاس في الأرض. وبإقامةِ العَدْل في القضاء والعمَل تصلحُ أحوالُ الرّعيّة وتُؤمَنُ السُّبُلُ، وينتصِفُ المظلومُ، وتأخذُ الناسُ حقوقَهم، وتحسُن المعيشة»(٤١). ودالّةٌ جدًّا في العهد هذه الحِكْمةُ: «واحمِلِ النّاسَ كلَّهم على أمْرِ الحقّ؛ فإنّ ذلك أجمعُ لِأُلفتهم وألزمُ لرِضاءِ العامّة»(٤٢).

ويقدِّمُ العهدُ صُورةً واضحةً تمامًا للرّاعي المثاليّ، الذي يدركُ طبيعةَ المهمّة التي أُوكلتْ إليه والحقوقَ التي يجِبُ عليه القيامُ بها. فما الوالي إلّا خازنٌ وحافظٌ وراعٍ، وعليه أن يقومَ بوظائفِ هؤلاء إزاءَ رعيّته؛ ليستقيمَ له أمرُ مُلْكه. وفي هذا يقول العهدُ: «واعْلَمْ أنّك جُعِلْتَ بوِلايتكَ خازِنًا وحافِظًا وراعيًا. وإنّما سُمّي أهلُ عمَلِكَ رعيّتَك لأنّكَ راعيهم وقيِّمُهم؛ فخُذْ مِنهم ما أعطَوك مِن عَفْوهم، ونفّذْه في قِوام أمرِهم وصلاحهم وتقويم أوَدهم واستعملْ عليهم أولي الرّأيِ والتّدبير والتّجربة والخبرة ..، ووسّعْ عليهم في الرّزق؛ فإنّ ذلك مِن الحقوق اللّازمة لك فيما تقلّدتَ وأُسنِد إليكَ»(٤٣).

وابتغاءَ ضَبْطِ سلوك العُمّال، لا بدّ مِن اتّخاذ شخصٍ أمينٍ يوافي الحاكمَ كِتابةً

(٤٠) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٧٣٠.
(٤١) نفسه، ج٢، ص٧٣٠.
(٤٢) نفسه، ج٢، ص٧٣١.
(٤٣) نفسه، ج٢، ص٧٣١.

بسِيَرهم وأعمالهم؛ لكي يكافئ المحسِنَ ويعاقبَ المسيء. وفي هذه الوِجْهة جاء قولُ طاهر: «واجعَلْ في كلّ كُورةٍ مِن عمَلِكَ أمينًا يخبرُكَ خبرَ عُمّالك، ويكتبُ إليكَ سِيَرَهم وأعمالَهم، حتّى كأنّكَ معَ كلّ عاملٍ في عمَلِه مُعاينًا لأمورِه كلّها»(٤٤).

وإضافةً إلى ما تقدّم، ينطوي العهدُ في موضوع السياسة الشّرعيّة والملوكيّة على جُملة مبادئ عمليّة، تَشي بخبرةٍ واسعة في الإدارة والتّدبير وتحسينِ الأداء وشُمولِ الرّعاية وقضاءِ الحاجات وحلّ المعضِلات ولمّ الشّمل والتزام العَدْل. ومِن ذلك استشارةُ أهل الرّأي في صَوابِ المطالب التي يُكلَّف بها العُمّالُ قبل طَلَب إنفاذها، واستعمالُ الحزْمِ في تنفيذِ ما يُراد، والإكثارُ مِن استخارة الخالق سُبحانَه في الأمور كلّها، واجتنابُ تأخير عمَل اليوم إلى الغد، واستخلاصُ أحرار الناس وذوي الفضل مِنهم ممّن يثبُتُ صفاءُ نواياهم، وتعهّدُ أهل البيوتات ممّن دخلَتْ عليهم الحاجةُ، ومُباشَرةُ النَّظرِ في أمور الفقراءِ والمساكين العاجزين عن رفع مظالمهم، والمحتقَرينَ الذين يجهلونَ طلَبَ حقوقهم، والعنايةُ الخاصّة بذوي البأساء والعطفُ عليهم، وتخصيصُ الأضِرّاء بجِراياتٍ دائمة من بيت المال، وإيثارُ حَمَلةِ القرآن والحافظينَ لأكثَرِه على غيرهم في الجِراية، وإنشاءُ دُورٍ خاصّة لإيواء المرضى، فيها مَنْ يرفُقون بهم ويعالجون أسقامَهم، وإكثارُ الإذن للنّاس بالدّخول عليه وإظهارُ الاهتمام بهم والتحنّن عليهم واللّين في استقبالهم والاستماع إلى حاجاتهم، والاعتبارُ بما يجري في هذه الدّنيا وبما مضَتْ عليه شؤونُ أهل السلطان والرّياسة في القرون الخالية، والاطّلاعُ التامّ على ما يجمَعُ العُمّالُ وما ينفقونَ مِن مال وطَلَبُ الحلال منه، والاقتصادُ في إنفاقه، وتحديدُ وقتٍ لمقابلة كلّ واحدٍ مِن العُمّال والكُتّاب، الذين هم في حَضْرته، لِمُدارَسةِ الأمور التي يقدّمونها له وتحتاج إلى بَتّ(٤٥).

(٤٤) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٧٣٢.

(٤٥) نفسه، ص٧٣٢ - ٧٣٤.

وأمّا ما ينطوي عليه العهدُ في الحثّ على مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم فكثيرٌ، ويضمنُ التخلّقُ بهذه الأخلاق والتحلّي بهذه الشِّيَم لحامله سَيرةً طيّبةً، تجعلُه محبَّبًا إلى الرّعيّة مُستطابَ الذّكْرِ عندَها مؤيَّدًا مِنها حينَ يدعو، كما يضمنُ صلاحَ أمر العاقبة وحُسْنَ المغبّة. ومِن معالي الأخلاق التي حثّ عليها صاحبُ العهد أن يتخلّقَ المعهودُ إليه بخلائقِ رسولِ الله، عليه الصّلاةُ والسّلام، وخلائقِ السّلَفِ الصّالح بعْدَه، في لُزومِ جادّةِ العَدْل والفِقْه في الدّين، والاعتدالِ في الأمور كلّها، وإحسانِ الظنّ بالله، واستخارته تعالى، والشدّةِ في محاسبة النّفس وتأديبها، ورعايةِ الأمانات والوفاء بالعهود، وإلجامِ اللّسان عن الكذب والزّور والنّميمة، ومحبّةِ أهل الصّلاح والصّدق، وإعزازِ الأشراف بالحقّ، وإعانةِ الضّعفاء، ووَصْلِ الأرحام، ومجانبةِ الأهواء، ومَلْكِ النفس عند الغضب، وإيثارِ الحِلْم والوقار، ومُحاذَرةِ الطّيش والغرور، واستشارةِ ذوي العقل والحِكْمة، واتّقاء الشُّحّ، والتخلّقِ بخَلّة الجود، وتجنُّب العجَلة والقلق، وأخْذِ الرّعيّة بالرّفق، وتسليطِ الحقّ على النفس.

**آ- التأثيرُ القرآنيّ في فِكَر العهد ومَعانيه:**

تقدّم قولُنا: إنّ قصْدَ البحثِ بيانُ التأثيرِ الذي تركَه القرآنُ الكريم في البِنية الأدبيّة لأدَبِ العهود والوصايا ممثّلًا بـ«عهد طاهرِ بنِ الحسَين لابنه عبْدِ الله»، ويستدعي ذلك تحديدَ بعض عناصرِ استلهامِ منشئ العهد القرآنَ الكريم، في إنشاء مَتْنه الأدبيّ، الذي هو هنا هذا العهدُ. ولعلّه مِن نافلة القول أنّ القرآنَ الكريم، بما هو مَتْنٌ أدبيّ في أسمى صورةٍ عرفتها اللّغةُ العربيّة للإنشاء الأدبيّ وذو مصدرٍ إلهيّ، يعمَلُ عملَه في ذهن المبدِع العربيّ المسْلِم الأديب في اتجاهَيْنِ أساسيّين. أوّلُهما أنّ آلةَ إنتاج الفِكَر عندَ هذا المبدِع تعمَلُ عملَها وهي مُشبعةٌ إشباعًا تامًّا بالمضمون القرآنيّ. وحالُها في هذا حالُ الحديد الذي وُضِع في النّارِ حتّى غدا هو نفسُه نارًا.

وهذه صورةٌ نستمدّها مِن الميراث الأدبيّ لشاعِرِ الصّوفيّة الأكبر مولانا جلال الدّين الرّوميّ. ويعني ذلك عمَليًّا أنّ فِكَر المبدِعِ المسْلِم الأديب، في مجال النّوع الأدبيّ الذي نحنُ إزاءه خاصّةً، ليسَتْ قرآنيّةً تمامًا، لكنّ فيها الكثيرَ الكثيرَ مِن العناصر القرآنيّة في جانب الدّلالة. ويحدثُ ذلك في المقام الأوّل لأنّ سُلْطانَ العالَمِ الفكريّ للقرآن حاكِمٌ بقوّة لما يأتي به المبدِعُ المسْلِمُ الأديبُ مِن فِكَر ومعانٍ. وفي الإبداعيّةِ الإسلاميّة الأدبيّة قيمةٌ فكريّة في غاية القوّة، مُفادُها أنّ أبدعَ الفِكَر وأجملَها لا ينبغي في حالٍ أن يُخالِفَ أصلًا فِكْريًّا قرآنيًّا. وأجدُ في نفسي حَدْسًا قريبًا مِن اليقين يتّجهُ إلى القول إنّ كلّ مَواليدِ عالَمِ المعاني والفِكَر عند بني البشَر لها أصلٌ مُباشِرٌ، أو غيرُ مُباشِر، بالعالَمِ الفكريّ القرآنيّ. وفارقُ ما بينَ العالَمِ الفكريّ القرآنيّ والعالَمِ الفكريّ البشريّ أنّ الأوّل يهدي دائمًا «للّتي هي أقومُ»؛ أي الطّريقةِ التي هي أقومُ الطُّرقِ وأكثرُها صحّةً واستقامةً ويُسْرًا. وأنّ الثاني قد يهدي لذلك، وربّما لغيره. وفي مستطاعنا القولُ إنّ العمَليّةَ الإبداعيّة عنْدَ المسْلِم الأديب تظلّ تحتَ وطأةِ وَعْيٍ إبداعيّ متأهّب، يعمَلُ على الاستمدادِ مِن المخزون الفكريّ القرآنيّ ومحاذرةِ مخالفته. ويعزّز ذلك غَلَبةُ هذا المخزون، والإحساسُ بعظَمتِه وشرفِ الاستمداد منه، وحِذارُ رَفْضِ المتلقّينَ المبْدَعَ الذي يأتي مخالفًا لأصل قرآنيّ.

الاتجاهُ الثاني الذي نحسَبُ أنّ القرآنَ فيه يعمَلُ عملَه في ذهنِ المبدِع المسْلِم الأديب أنّ البِنيةَ اللّغويّةَ القرآنيّة، مفرداتٍ وتراكيبَ وهياكلَ تصويريّةً، لها قدرةٌ كبيرة على تلوينِ المنتَجِ الكلاميّ الذي يأتي به المبدِعُ المسْلِمُ الأديب بصبغتها العامّة. ويجدُ المتأمّلُ آثارَ ذلك التلوين في غيرِ قليلٍ مِن لُغاتِ المسلمينَ غيرِ العربيّةِ؛ كالذي نراه كثيرًا في اللّغة الفارسيّة، في أسماء الأعلام خاصّةً. ولا يجوزُ أن يبارحَ الذهنَ هنا أنّ أيّ مبدِعٍ مسْلِم أديب محكومٌ لا محالةَ بأن يتعاملَ

معَ الحاضِنِ الفكريّ والأدبيّ القرآنيّ لأمدٍ يقصرُ أو يطول. وفي مُتناوَلِ الدّارسِ أن يقفَ في تحديد التأثير القرآنيّ في فِكَر أدب السّياسة الملوكيّة في هذا العهد عندَ ثلاثِ صُوَرٍ بارزة لهذا التأثير:

١ - تمثُّلُ الرّوحِ القرآنيّ في إنتاجِ معاني العهد.

٢ - الاقتباسُ المتصرَّفُ فيه للمدلولات القرآنيّة.

٣- الاقتباسُ الحَرْفيّ على سَبيلِ الشّاهِدِ والدّليل.

أمّا النّمطُ الأوّلُ فهو السّائدُ الغالِبُ في مَتْن العهد. وندلّلُ عليه، في المقام الأوّل، بغلَبةِ مفهومٍ واحدٍ صبغَ العهدَ مِن مُبتدئه إلى مُنتهاه؛ وهي فكرةُ «تعظيم أمرِ الله» سُبحانَه، وفْقَ تعبيرٍ ردّدَه مولانا جلالُ الدّين الرّوميّ في رسائله؛ التي تعني في التفصيلِ تقوى الله ومراقبتَه ومُزايلةَ سَخَطِه، ووجوبَ الإطاعةِ لما أمر به والاجتنابِ لما نهى عنه، واستخارتَه تعالى في الأمور كلّها، ومعرفةَ ما يُتقرَّبُ به إليه، وسؤالَ توفيقه، وطلَبَ وجهه ومرضاته، وإحسانَ الظنّ به، والتماسَ الوسيلة إليه، وإقامةَ حدوده، وإخلاصَ النّيّة له وحْدَه.

وإذا ما أخذْنا بفِكْرةِ الحقول الدّلاليّة في مُناقشة هذا الأمر، جاز لنا القولُ إنّ «تعظيمَ أمر الله» أظهَرُ الحقول الدّلاليّة في هذا العهد، بل هو الحقلُ الغالِبُ. وندلّلُ على ذلك بما جاء ممثِّلًا هذا الحقلَ في صفحتَيْنِ مِن صَفحاتِ العهد البالغةِ تسعَ صفحات تقريبًا في مقدّمة ابن خلدون (الجزء الثاني، ص ٧٢٥ - ٧٣٥).

أمّا في الصّفحة (٧٢٦) فنجدُ قولَ المؤلّف:

- «والزَمْ ما ألبسَكَ اللهُ مِن العافية بالذّكرِ لِمعادكَ وما أنتَ صائرٌ إليه وموقوفٌ عليه ومسؤولٌ عنه، والعَملِ في ذلك كلّه بما يعصمكَ من الله، عزّ وجلّ».

- «وليكُنْ أوّلُ ما تُلزِمُ به نفسَك وتنسبُ إليه فعْلَكَ المواظبةَ على ما فرضَ اللهُ، عزّ وجلّ، عليكَ».

– «وإذا وردَ عليكَ أمرٌ فاستعِنْ عليه باستخارة الله، عزّ وجلّ، وتقواه، وبلزومِ ما ألزمَ الله، عزّ وجلّ، في كتابِه مِن أمْرِه ونَهْيِه وحَلاله وحَرامه... ثـمّ قُـمْ فيـه بـالحقّ لله، عزّ وجلّ».

وأمّا في الصّفحة (٧٢٧) فنجدُ قولَه:

– «أفضَلُ ما يتزيّنُ به المرءُ الفِقْهُ في الدّين، والطّلَبُ له، والحَثُّ عليه، والمعرفةُ بما يُتقرَّبُ به إلى الله، عزّ وجلّ».

– «ومعَ توفيقِ الله، عزّ وجلّ، يزدادُ المرءُ معرفةً وإجلالًا له ودَرَكًا للدّرجات العُلى في المَعاد».

– «ولا تقصِّرْ في طلَبِ الآخِرةِ والأَجْر... والاستكثارِ مِن البِرّ والسّعي لـه، إذا كان يُطلَبُ به وجهُ الله تعالى ومَرْضاتُه، ومُرافقةُ أولياءِ الله في دار كرامتِه».

ويعني التمثُّل assimilation هنا زيادةَ تشبّع المبدِع المسْلِم الأديب بالمعاني القرآنيّة زيادةً ينشأ عنها كلامٌ صُورتُه بشريّةٌ، وروحُه قرآنيّ. وإذا كانَتِ الكلمةُ المفتاحيّةُ الصّميميّة focus key-word في القرآنِ هي لفظَ الجلالة، الله، وَفْقَ تعبيرِ البحّاثة القرآنيّ الياباني (توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu) (ت١٩٩٣م)، فإنّ الوضْعَ نفسَه موجودٌ في مَتْن هذا العهد. ويضَعُ هذا في أيدينا إمكانيّةَ القولِ إنّ الرّوحَ الدّلاليَّ القرآنيّ غالِبٌ تمامًا على رُوحِ عَهْدِ طاهرِ بن الحسين، وإنّ طاهرًا استلهَمَ القرآنَ الكريم في كلّ ما أتى به مِن معانٍ، وإنّ القرآنَ أسهم إسهامًا واضحًا في تخليقِ نوعٍ أدبيّ اتّضحَتْ مَعالِمُه عندَ الإمام الغزاليّ (ت٥٠٥هـ) في كتابه «التّبر المسبوك في نصائح الملوك»[٤٦]. وإنّنا في هذا النّوعِ

(٤٦) ألّفه بالفارسيّة للسّلطان محمّد بن ملكشاه السّلجوقيّ، وتُرجمَ إلى العربيّة والتركيّة. انظر في شأنه: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.، ج١ ص٣٣٧.

أمام أدبٍ إسلاميّ حقيقيّ ممثِّلٍ لإبداعِ الأديبِ المسْلِم.

ويتحدّثُ المؤرّخون عن أنّ عهْدَ طاهرٍ هذا «لَـمّـا ظهرَ وشاعَ أمرُه أُعجِبَ به الناسُ»(٤٧)؛ ويعني هذا في وجهٍ مِن الوجوه أنّ الإبداعيّةَ العربيّـةَ الإسـلاميّة قادرةٌ على إنتاج أدبٍ، المضمونُ فيه هو الذي يجذِبُ النّاسَ ويغريهم بمطالعتـه. وقد سرى روحُ القرآن الذي ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] إلى رُوحِ هـذا الأدب. وينبغي أن يُفاخِرَ تاريخُ الأدب العربيّ بنوعٍ أدبيّ يدعو إلى صَلاح الحال والمآل، نوعٌ غايتُه أن يكون الحاكمُ أتقى وأنقَى، وأعـدلَ وأعملَ لكـلّ مـا مِـن شأنه سعادةُ العِباد وسلامةُ البلاد.

وأمّا الضّربُ الثاني لتأثيرِ القرآن في فِكَر أدب السّياسة الملوكيّة، وهو الذي سمّيناه «الاقتباس المتصرَّف فيه للمـدلولات القرآنيّـة»، فيـأتي في المحـلّ الثـاني. ونكتفي بأن نمثّلَ له بثلاثة أمثلةٍ مِن مَتْن العهد:

– «فإنّ الله سبحانَه قـد أحسنَ إليـكَ، وأوجـبَ الرّأفـةَ عليـكَ بمَـنِ اسـترعاكَ أمرَهم مِن عبادِه، وألزمكَ العَدْلَ فيهم»(٤٨).

–«ولا تتّخذَنَّ عدوَّ الله الشيطانَ في أمْرِكَ مَعْمَدًا؛ فإنّه إنّـما يكتفـي بالقليـلِ مِـن وَهنكَ، ويُدخِلُ عليكَ مِن الغمّ بسُوءِ الظنّ بهم ما يُنقصُ لَذاذةَ عيشِك»(٤٩).

– «وإيّاكَ أن تقولَ: أنا مُسلَّطٌ أفعلُ ما أشاءُ؛ فإنّ ذلكَ سريـعٌ إلى نَقْـصِ الـرأي وقِلّةِ اليقينِ بـالله عـزّ وجـلّ... واعلَـمْ أنّ المُلْـكَ لله سُـبحانَه وتعـالى يؤتيـه مَـنْ يـشاءُ وينتزعُه مِمّن يشاء»(٥٠).

(٤٧) مقدّمة ابن خلدون (سابق) ج٢، ص٧٣٥.

(٤٨) السابق، ص٧٢٦.

(٤٩) نفسه، ص٧٢٧.

(٥٠) نفسه، ص٧٢٨.

وفي مقدُورِ المتأمّلِ أن يقولَ إنّ بذورَ المعاني القرآنيّة استنبتَها المبدِعُ المسْلِمُ الأديبُ في تُربة أدبه استنباتَ الزّارع للبذور. ولعلّ شيئًا من ملامح الإبداعيّة الأدبيّة الإسلاميّة يظهَرُ في المقارنة بينَ كلّ مقبوسٍ مِن المقبوسات السابقة، مِن عهد طاهر، والبذرةِ القرآنيّة التي أنبتَتْه.

وفي المثال الأوّل، تتمثّلُ هذه البذرةُ في قول الله سُبحانَه: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. والمعنى العامّ واحدٌ في كلٍّ مِن المقبوس والعبارة القرآنيّة. ومعنى «أحسِنْ» في الآية: أحسِنْ إلى عبادِ الله؛ وهو أوّلُ معنيين ذهب إليهما الزمخشريّ في كشّافه(٥١). ولا نحسبُ إلّا أنّ كاتِبَ العهد كان على ذكرٍ راسخٍ لهذا المعنى؛ معنى إحسان الإنسان للعباد، مثلما أحسنَ الله سبحانه إليه.

ويبدو أنّ استجابةَ النفوسِ البشريّة للمتون القرآنيّة تتفاوتُ في درجتها مِن تعبيرٍ قرآنيّ إلى آخَر. وربّما يرجعُ ذلك إلى أُنس النفوس البشريّة ببعض المعاني دون بعضِها الآخَر. وقد يرجعُ إلى تكرّرِ ورود المعنى نفسه في صِيَغٍ مختلفة في القرآن الكريم؛ إذ ليس مِن شأن المعنى الذي يرِدُ مرّةً واحدةً أن يتركَ في النفسِ تأثيرًا مُساوِيًا في الدّرجة للآخَر الذي يرِدُ مرّاتٍ كثيرة. ويتبيّنُ مِن هذا المثال أنّ المبدِعَ المسْلِم الأديب، هنا، يتصرّفُ في المعنى القرآنيّ نوعًا مِن التصرّف، جاعلًا الفكرةَ القرآنيّة المختصرة نواةً لمعنى مفصّلٍ يستوعبُ جزئيّاتِ النصيحة أو التّوجيه، الذي يطمَحُ مِن قارئ أثَره إلى قراءتِهِ والتزامِ المطلوب فيه. ويوسَّعُ المعنى القرآنيّ في هذا التوظيف ليفيَ بالغَرضِ الذي يقصِدُ إليه الأديبُ.

أمّا في المثال الثاني، فإنّ البذرةَ الدّلاليّة القرآنيّة هي قولُه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

(٥١) الكشّافُ عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربيّ، ج٣، ص٤٣١.

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]، وقولُه تعالى أيضًا: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ٢٠٨؛ الأنعام: ١٤٢]. وهذا المعنى كثيرُ التردّد في القرآن الكريم؛ ولعلّه مِن هذه الوِجْهة يكونُ مِن المعاني الضاغطة على الذهنيّة الإبداعيّة الإسلاميّة؛ ويرجع استدعاؤه إلى حضوره في الذهن غالبًا. ولدَينا هنا شيءٌ آخَر، هو أنّ الخطابَ الأخلاقيّ الغالِبَ على العهد يناسبه تمامًا استنباتُ هذا المعنى المتعلّق بمخالفة الشيطان وعصيانه، وهو معنًى شائعٌ في الثقافة الخُلُقيّة الإسلامية، حتّى إنّ البوصيريّ (٦٠٨ – ٦٩٦ هـ) يقول:

وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهما وإنْ هُما مَحضاكَ النّصْحَ فاتّهِمِ

ويتمثّلُ التصرّفُ هنا في جَعْلِ الشيطان عدوًّا لله، وتأكيدِ هذا المعنى بصياغةٍ لغويّة دالّة على التأكيدِ؛ وذلك بتقديم تعبير «عدوّ الله»، الذي جاء مفعولًا به أوّلًا، على تعبير «الشيطان»، الذي جاء عطفَ بيانٍ. كما يمثّلُ تصرّفًا بالمعنى القرآنيّ توسيعُ هذا المعنى ليشمَلَ الجزئيّاتِ التي يستلزمها التوجيهُ الذي أرادَه صاحبُ العهد.

وأمّا في المثال الأخير، فإنّ المقولبةَ القرآنيّةَ المستوحاة هي الدّعاءُ: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ويخمّنُ المتأمّلُ أنّ مِن أسبابِ حضور هذا المقبوس في ذهن صاحب العهد انتماءَه إلى جوّ الحُكْم والمُلْك والسّيادة، وصاحبُ العهدِ وابنُه مُعرقانِ في هذا، وكونَه أيضًا مِن محفوظِ الدّعاء، الذي يسمعُه المسْلِمُ كثيرًا، والذي يكون ألصقَ بالنفس عادةً. ومِن ضروبِ التصرّف فيه نَقْلُه مِن سياقِ الدّعاء إلى سياق الأَمْر، ومِن قالَب الخِطاب إلى قالَب الغَيبة.

النّمطُ الأخيرُ لتأثيرِ القرآن في أدبِ سِياسةِ الملوك، ممثَّلًا له بهذا العهد، هو النّمطُ الأقلّ شيوعًا، ونجدُ له في العهد كلّه مثالَيْنِ اثنَيْنِ هما:

١ – قولُ المؤلّف: «وليكنْ أوّلُ ما تُلزمُ به نفسَكَ وتنسُبُ إليه فعلَك المواظبةَ على ما فرضَ اللهُ عزّ وجلّ عليكَ مِن الصّلوات الخَمْسِ والجماعةِ عليها بالناس قِبَلَكَ، وتُوقعها على سننها...، وادأبْ عليها؛ فإنّها كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ – قولُ طاهر: «واجتنبِ الشّحَّ، واعلَمْ أنّه أوّلُ ما عصى الإنسانُ به ربَّه، وأنّ العاصِيَ بمنزلة الخِزْي، وهو قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وفي مِثْلِ هذا النوعِ مِن التأثير، تكون الآلةُ الإبداعيّة عند الأديب المسْلِم منشغلةً بإقناع المعهود إليه بصوابِ الفِكْرة وصحّة التّوجيه. وغيرُ خافٍ أنّ المحتوى القرآنيّ حُجّةٌ عندَ كُلٍّ مِن الأديبِ وجُمْهوره. وفي الأدب التّربويّ الإسلاميّ يُحتاج إلى هذا النوع مِن التدليل والبرهنة. ويشتغِلُ العقلُ الإسلاميّ المبدِعُ هنا بلُغة التمييز بينَ المرجعيّة الإلهيّة والمرجعيّة البشريّة؛ بلُغةِ ما يُسمّيه القرآنُ نفسُه «القولَ الفَصْل». أي الفاصل بينَ الحقّ الثابت والباطل الذّاهب. وعلَينا، في هذه النقطة، أن نتأمّلَ الكيفيّةَ التي يعمَلُ بها العقلُ المبدِعُ عندَ المؤمن. وهنا أيضًا نظفرُ بمِنطَقةٍ يحسِب فيها المبدِعُ المسلمُ الأديبُ حسابًا كبيرًا للمُسلَّماتِ الإيمانيّة عندَ جُمْهوره. وفي مِثْل هذا النّوعِ مِن الكلام، تكونُ السّيادةُ للمضمون على حِساب الشّكل. ويختلفُ الكلامُ البشريّ هنا عن الكلام القرآنيّ في أنّ الكلامَ الإلهيَّ يقوّي المعنى بالمبنى؛ أي إنّ الصّياغةَ القرآنيّة توظّفُ جَمالَ الأداء في تجميل الحقيقة. مِثْلَما يذهَبُ قولٌ مشهورٌ منسوبٌ إلى الإمام عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهَه، إلى أنّ الخطّ الجميلَ يجمّلُ الحقيقة. وجملةُ القول في هذا الشأن أنّ المبدِعَ المسْلِم الأديب يقتبسُ مِن القرآن لمضاعفةِ الإقناعِ والتّصديق بما يريدُ، ولإضفاءِ قدرٍ مِن القداسة والشّرَف على مَقولاته، ولتقريبِ المسافة بينَه وبينَ جُمْهورِه بالاحتكامِ إلى مرجعيّةٍ واحدة معتَمَدةٍ عندَ الفريقَيْن.

**ب – التّأثيرُ القرآنيُّ في لُغة العهد وصِياغته ومَبانيه:**

يمتلكُ المعجَمُ القرآنيّ قدرةً كبيرةً على صِياغةِ الآلةِ الإبداعيّة الأدبيّة صياغةً مِن نوعٍ خاصّ؛ ولا يكونُ ذلك طبعًا إلّا بعْدَ يقينِ المبدِع الأديب المسْلِم بأنّ القرآن رائعةٌ لغويّةٌ في أعلى مستوًى عرفَه استعمالُ العربيّة، وتشبّعِه التامّ بمادّة هذا المعجَم. على أنّ «الخلابة القرآنيّة»، بمعنى تمكّنِ الأداءِ اللّغويّ القرآنيّ مِن النفس تمكّنًا يذهب بها كلَّ مذهب، لا يُشترطُ في إدراكِها والإحساسِ بها هذا اليقينُ المتحدَّث عنه؛ وحُجّتُنا في ذلك قولُ الوليدِ بنِ المغيرة عن القرآن: «والله إنّ له لَحلاوةً، وإنّ عليه لَطَلاوة...». وتعني الطّلاوةُ خاصّةً الحُسْنَ والبهجةَ والقَبولَ والسِّحْرَ. ومن هنا، في مقدورنا زَعْمُ أنّ الخلابةَ القرآنيّة قادرةٌ على إحداث قَدْرٍ كبير من الانفعال الجماليّ في النفوس، حتّى حين لا يكونُ عندَ هذه النفوس انطباعٌ بأنّ القرآنَ رائعةٌ لغويّةٌ فائقة أو عديمة النظير؛ فالفضلُ ما شهدَتْ به الأعداءُ. والمهمُّ في هذا الشأن أن تخلُوَ نفسُ الإنسان مِن هوى أو غرضٍ يحولُ بينَ المرءِ وقَلْبِه، بلُغة القرآن الكريم.

ولدَينا حَدْسٌ بأنّ ماءَ قَنواتِ الإبداع، الذي مِنه كلُّ شيء حيّ في هذا الإبداع، هو ماءُ المعاني والفِكَر الذي يستدعي قنواتِ تعبيرٍ خاصّةً به. ولدينا حَدْسٌ أيضًا بأنّ قدرًا عظيمًا مِن أدبيّةِ المنتَج الأدبيّ يرجعُ إلى قوّةِ تناسُبٍ وتشابه وقربى بينَ المعنى ومَبْناهُ الخاصِّ به. ولعلّه مِن هذه الوِجْهة يحدَّدُ عنصرٌ جَماليّ بلاغيّ في مؤدّى القول: هذا اللّفظُ لهذا المعنى؛ بمعنى: هذا الثّوبُ لهذا اللّابس. ووَفقًا لهذا الفَهْم، يكونُ مِن أمارات المتْنِ الأدبيّ العالي أنّ اللّفظَ الواحِدَ حينَ يُفردُ مِنه يُحْرَمُ مِن قدرٍ هائل مِن جَمالِ معناه. وفي هذا المعنى يقولُ المفكّر المسْلِمُ محمّد إقبال:

أَفْرِدِ اللّفظَ مِنَ البيتِ ترى ... جوهرَ المعنى لدَيْهِ انكسَرا

تَسْقُطُ الأوراقُ مِنْ غُصْنٍ يَنيعْ ... فتُرى محرومةً فصْلَ الرّبيعْ

وفي شأنِ استثمارِ المعجَم القرآنيّ في الإبداع الأدبيّ، في عهدِ طاهرِ بن الحسين، يُلاحَظُ تناثُرُ المسكوكات اللّغويّة القرآنيّة في تضاعيف العهد. ويدلّ هذا النّوعُ مِن التوظيف القرآنيّ على أنّ الكاتِبَ السّياسيَّ، أو المؤلّفَ في نَصيحةِ الملوك، يبتهجُ باقتطافِ باقاتٍ تعبيريّة مِن رَوْضة القرآن اللّغويّة. والحقيقةُ أنّنا هنا إزاءَ نوعٍ مِن الصّياغةِ القرآنيّة المتخلّلة لأساليب الكُتّاب، تخلّلًا شبيهًا بتخلّلِ النّجومِ الفضاءَ السّماويّ في ليلة مظلمة.

وفي مُستطاعِ المتأمّلِ في القرآنِ أن يتحدّثَ في لغته عن «التّجاوُرِ المحْكَم» في الأسلوب القرآنيّ؛ أي مُرَكّبِ الجَلال والجَمال الآتي مِن مجاورة لفظتَيْنِ، أو ثلاثٍ، في صُورةٍ مِن صُوَر التّجاور. ويعني هذا في المناقشة النقديّة أنّ قدرًا كبيرًا مِن بهاءِ القرآنِ ورَوْعته وخلابته، وإعجازه في المحصَّل، مصدرُه هذا التجاورُ اللّفظيّ المتميّز. ولعلّ أميرَ البيانِ العربيّ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وقَفَ بحَدْسِ الناقِدِ الكاشِفِ عندَ هذا المظهَر، في مُناقَشةِ قولِ أبي العتاهية:

يا لِلشّبابِ المرِحِ التّصابي رَوائحُ الجنّةِ في الشّبابِ

إذ يقولُ: «في قولِ أبي العتاهية «روائحُ الجنّة في الشّباب» معنًى كمعنى الطّرَب، الذي لا يقدِرُ على معرفته إلّا القلوبُ، وتعجزُ عن ترجمته الألسنةُ إلّا بعْدَ التطويلِ وإدامةِ التفكير؛ وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ مِن اللّسانِ إلى وَصْفِه»(٥٢).

ونحسَبُ أنّ التمثيلَ لِما نحنُ إزاءه مفيدٌ في جَلاءِ الأمْرِ؛ واستجابةً لذلك نقدّمُ عددًا من الأمثلة:

(٥٢) انظر: أبو العتاهية أشعارُه وأخبارُه، بتحقيق شكري فيصل، دار الملّاح للطباعة والنّشر، دمشق، ١٩٦٤، ص٤٦٦.

يقولُ صاحبُ العهد: «والزَمْ ما ألبسكَ الله من العافية بالذّكر لمعادك وما أنتَ صائرٌ إليه وموقوفٌ عليه ومسؤول عنه»(٥٣)؛ ويقولُ: «ومؤاخِذُكَ بما فرضَ عليكَ ومُوقِفُك عليه»(٥٤).

ولا يحتاج المرءُ إلى كبير اجتهادٍ لكي يقولَ إنّ أصْلَ عبارةِ «موقوفٌ علَيهِ ومَسؤولٌ عنه» وعبارةِ «ومُوقِفُك علَيه» هو المسكوكةُ القرآنيّة:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصّافّات: ٢٤].

والاقتباسُ هنا لا يبلغُ درجةَ المطابقة التامّة، لكنّه لا ينطوي في الوقت نفسِه على بُعْدٍ عن الأصل. ومِن مجالي الإبداع الأدبيّ هنا إنزالُ القرآنيّ العامّ على الخاصّ الواحِد، المقصود بالخطاب. ويعودُ شطرٌ كبيرٌ من طلاوة التّعبير الأدبيّ، في حالاتٍ كهذه، إلى المرجعيّةِ المشترَكة بينَ مُقدِّمِ النُّصْح والمنصوح. فإنّ كُلًّا مِنهما مِن أوعيةِ الكتاب الإلهيّ، على غِرارِ ما يقولُ الجاحِظُ ناسِبًا إلى عُمَرَ بنِ الخطّاب رضي اللهُ عنه: «كونوا أوعيةَ الكتاب [القرآن]، وينابيعَ العِلْم، وسَلُوا الله رزقَ يومٍ بيوم».

ويقول طاهرٌ أيضًا: «... والعَمَلِ في ذلك كلّه بما يعصمُكَ من الله»(٥٥).

و«العاصِمُ مِن الله» تعبيرٌ قرآنيّ استعملَه الذّكرُ الحكيم مرّتَيْنِ:

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [يونس: ٢٧].

﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [غافر: ٣٣].

ولدَينا ميلٌ إلى القول إنّ تكريرَ القرآنِ مسبوكةً تعبيريّةً واحدة في سياقات مختلفة دليلٌ على وَحْدة المصدر القرآنيّ، وعلى عنايةٍ خاصّة ببعض المسبوكات

(٥٣) مقدّمة ابن خلدون (السابق)، ج٢، ص٧٢٥ – ٧٢٦.

(٥٤) السّابق نفسه.

(٥٥) السابق نفسه.

تستلزمُها القوّةُ البيانيّة في التعبير القرآنيّ، وفْقَ منطق: هذا التعبيرُ لهذا الموقف. ويعمَلُ ذلك في صُورةِ المنحوتةِ المؤهَّلة للاستظهار والحِفْظ أكثرَ مِن غيرها؛ لِمُناسَبتها لآلةِ الإدراك اللّغويّ والأدبيّ. وينشأ عن ذلك يُسْرُ استدعائها في أثناء العمَليّة الإبداعيّة الأدبيّة. وهذا الإلحاحُ في الكلام الإلهيّ على مُجاوَرةٍ لفظيّةٍ بعينها، متمثِّلةٍ هنا بـ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ و﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، يدفعُنا إلى تصوّرِ أنّ المسكوكاتِ القرآنيّةَ مِن هذا النوع تُحْدِثُ في النفس إحساسًا بالجَمالِ شَبيهًا بالإحساس الذي تبعثُه في النفسِ صُورةُ مجاراةِ أخي الخنساء أباها وإقبالِها عليها:

جارى أباهُ فأقبَلا وهُما يَتعاوَرانِ مُلاءةَ الفَخْرِ

فالألفاظُ المتجاورةُ على هذا النّحْوِ ينبعثُ مِن ثيابها رائحةُ الحُسْنِ والبهجةِ والقَبول والسِّحر، على نحوٍ يحاكي قولَ أبي العتاهية:

ولقَدْ طرِبْتُ إليكِ حتّى صِرْتُ مِن ألَمِ التّصابي
يَجِدُ الجليسُ إذا دنا ريحَ الصّبابة مِنْ ثيابي(٥٦)

ومِن بَيّناتِ ما نحنُ إزاءه قَولُ مؤلّفِ العهد: «وأحسِنْ ظنَّكَ بالله، عزّ وجلّ، تستقمْ لكَ رعيّتُكَ»(٥٧).

ولا دافع يَرُدُّ القولَ إنّ المسبوكةَ القرآنيّةَ المستعارة هنا هي التي جاءت في قولَيه تعالى:

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [الفتح: ٦].

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

ولِأَنَّ السّياقَيْنِ اللذَين يرِدُ فيهما الأصلُ القرآنيّ سياقا تنفيرٍ شديد من «ظَنّ

(٥٦) أبو العتاهية أخباره وأشعاره (سابق)، ص٤٩٠ – ٤٩١.
(٥٧) مقدّمة ابن خلدون (سابق) ج٢، ص٧٢٧.

السَّوء» بالله، جلّ وعلا، يَزيدُ ذلك مِن قابليّة حِفْظ المسبوكة القرآنيّة و ورودِها على لِسان المبدِع المسْلِم الأديب. ولا جدالَ في أنّ إحسانَ الظنّ بالله معلَمٌ لِمَعْرفةٍ بالله ترتقي بالإنسان إلى الدّرجات العُلى. وقد أحسنَ صاحبُ العهد الإفادةَ مِن هذا المعنى، حينَ بنى على إحسانِ الظنّ بالله استقامةَ الرّعيّة للحاكم. وعلى هذا النّحْوِ يكونُ المَعِينُ الفكريُّ القرآنيّ مدَدًا مُستمِرًّا لإنتاجِ أدبٍ نُطْلِقُ علَيه، منذُ زمنٍ بعيد، وَصْفَ «الأدَبِ المؤدِّب».

وممّا هو واضحٌ في الشأن الذي نعالجه قولُ طاهر: «وأقِمْ حدودَ الله تعالى في أصحابِ الجرائم على قدر مَنازِلهم وما استحقّوه»(٥٨). والمسكوكةُ القرآنيّةُ الكاملةُ في هذا الشأن هي قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقد تردّدَ تعبيرُ «حُدود الله» في القرآن اثنتَي عشْرةَ مرّةً؛ ويُرادُ بذلك أحكامُ الله سُبحانَه التي ينبغي الالتزامُ بها. ولا يخفى أنّ إضافةَ الحدودِ إلى الله عزّ وجلّ، هكذا: «حُدود الله»، تَزيدُ هذه الحدودَ تشريفًا وتساميًا، وتُضاعِفُ تعظيمَ النّفوس لها. ويَقِفُنا مِثْلُ هذا الاستعمالِ القرآنيّ عندَ ما يمكنُ أن نطلقَ عليه «التّعابيرَ المُشرَّفة». التي تنطوي على خاصّيّاتٍ دلاليّةٍ تجعلُها أكثرَ تعلّقًا بالنفوس والمدارك. ويجتمعُ هنا ضُروبٌ مِن التّشريف؛ تشمَلُ مجرّدَ كونِ التعبير قرآنيًّا، أي مِن كلامِ الله سُبحانَه، والإضافةَ إلى الاسْمِ الأعظَم «الله»، أو لفظِ الجلالة، وكونَ الوالي أو الحاكم مسؤولًا عن تعرّف هذه الحدود وإقامتها. ولعلّ كثرةَ ورودِ هذا التعبير بنصّه «حُدود الله»، تنبئ عن قَصْدٍ إلى إعلائه وإعلانه وتثبيته في النفوس؛ الأمرُ الذي يجعَلُ استنباتَه في مَتْنٍ أدبيّ محلَّ تقديرٍ عندَ كلٍّ مِن الأديب وقارئ عمَله.

(٥٨) مقدمة ابن خلدون، السّابق، ص٧٢٨.

ومِن الأمثلةِ الـمُبينةِ لاستلهامِ الصّياغات القرآنيّة، في العهد، قـولُ الكاتـب: «ولا تزهُوَنّ فخرًا، ولا تُظهِرنّ غضَبًا، ولا تُباينَنَّ رجاءً، ولا تمشِينَّ مَرَحًا»(٥٩).

وقـد جـاءت المـسبوكةُ القرآنيّـةُ المـستوحاة هنـا مكـرّرةً مـرّتَيْنِ في الـذّكر الحكيم، وعلى هذا النّحو:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء: ٣٧].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨].

وجليٌّ أنّ هذه المسبوكةَ تتّخِذُ صورةَ تركيبٍ واحِدٍ في الموضعَيْنِ. ويُضفي ذلك علَيها طابَعَ الانتماءِ إلى متكلّم واحِدٍ، كما أسلفنا، كـما يجعلُهـا حـاضرةً تمامًا في وَعْـي القارئ، الذي يقرؤها في القرآنِ أو يسمَعُها تتردّدُ على الألسنة . ونخالُ أنّ هذا النّوعَ مِن التعابير القرآنيّة مِن النّوع الذي يأبى حُسْنُه إلّا أن يَدُلّ علَيه، مِثْلَما قال القائلُ:

أرادوا ليُخفُـوا قـبرَه عَـنْ عَـدوّهِ فطِيـبُ تُـرابِ القَـبْرِ دلّ عـلى القَـبْرِ

أو مِثْلَما قالَ المجنونُ:

أُريـــدُ لِأنـــسَى ذِكْرَهـــا فكـــأنّما تمثَّـــلُ لي لَـــيْلَى بِكُـــلّ سَـــبيلِ

## مُستخلَصُ القول:

تَرَك القرآنُ الكريمُ، وهو رائعةُ اللّغة العربيّة المقدّسةُ مضمونًا وصُورةً، تأثيرًا كبيرًا في الـمُنتَج الأدبيّ العربيّ الإسلاميّ، في تنويعاته المختلفـة، وظـلّ عـلى امتـدادِ الحياةِ الإسلاميّة مُلْهِمًا لا يتوقّفُ عطاؤه. وفي أدَبِ السّياسةِ الملوكيّـة خاصّـةً، ظـلّ مُستَرادًا للآلةِ الإبداعيّة عندَ الأديبِ المسْلِم، تجولُ في آفاقِه وتـستمدُّ مِـن مَغارِسِـه الفكريّة والتعبيريّة مُوجِّهاتٍ وصِيَغًا أنبتَتْ مِن كلّ زَوْجٍ بهيجٍ في تُربةِ هذا الأدَب.

(٥٩) مقدمة ابن خلدون، نفسه، ص٧٢٩.

وقد بيّنَ البحثُ أنّ طاهرَ بنَ الحسَين كان أديبًا وقائدًا وحاكمًا ومفكِّرًا سياسيًّا، وأنّ العَهْدَ الذي كتبَه لابنِه عبدِ الله مَتْنٌ أدبيٌّ في السّياسة الملوكيّة قليلُ النظير. وكان مِثْلَما قال فيه المأمونُ: «ما أبقَى أبو الطّيّب، يعني طاهِرًا، شيئًا مِن أمورِ الدّنيا والدّين والتّدبيرِ والرّأي والسّياسة وصلاحِ المُلْك والرّعيّةِ وحِفْظِ السّلطانِ وطاعة الخلَفاء وتقويمِ الخِلافة إلّا وقد أحكمَه وأوصَى به». وأظهرَ البحثُ أيضًا أنّ العالَمَ الفكريَّ للقرآن تراءى في عهد طاهِرِ بنِ الحسين في ثلاثِ صُوَر: هي تمثّلُ الرّوحِ القرآنيّ في إنتاج معاني العهد، والاقتباسُ المتصرَّفُ فيه للمدلولات القرآنيّة، والاقتباسُ الحَرْفيُّ على سَبيلِ الشّاهِد. كما ظهرَ أنّ مؤلّفَ العهد نثَرَ في عهده كثيرًا مِن المَسبوكاتِ التعبيريّة القرآنيّة، وبدا أنّ المؤلّفَ في السّياسةِ الملوكيّة يبتهجُ باقتطافِ باقاتٍ تعبيريّة مِن رياضِ المعجَم القرآنيّ. وخلَصَ البحثُ في الختام إلى القول: إنّ القرآنَ مثّلَ أغزرَ يَنابيعِ الإلهام الفكريّ والأدبيّ عندَ المبدِع المسْلِم الأديب، وارتقى بآلاتِ الإبداعِ عندَ أدباءِ العربيّة إلى آفاقٍ يَرْجِعُ البصَرُ عنها خاسئًا وهو حَسير.

ومِن الله، سُبحانَه، التوفيقُ إلى حُسْنِ القولِ والعمل. ■

* * *

# المصادر والمراجع


- أبو العتاهية: أشعارُه وأخبارُه، بتحقيق شكري فيصل، دار الملّاح للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦٤م.
- إحياءُ علوم الدّين، الغزاليّ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- تأثيرُ الحِكَم الفارسيّة في الأدب العربيّ في العصر العبّاسيّ الأوّل، عيسى علي العاكوب، دار الهدى، طهران ٢٠٠٦م.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبريّ، دار القلم، بيروت، د. ت.
- ديوان عمر أبو ريشة، عمر أبو ريشة، دار العودة، بيروت ١٩٩٦م.
- السّيرة النّبويّة، ابن هشام، بتحقيق مصطفى السّقا وآخَرَين، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الشمسُ المنتصرة – دراسةُ آثارِ الشّاعر الإسلاميّ الكبير جلال الدّين الرّوميّ، أنّيماري شيمِل، ترجمة عيسى علي العاكوب، نَشْر وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران ٢٠٠٠م.
- صحيح البخاريّ بشرح الكرمانيّ، البخاريّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ضَرْب الكليم، محمّد إقبال، ترجمة عبدالوهّاب عزام، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٢م.
- عهد أردشير، أردشير بن بابك، بتحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٧م.

- القاموس المحيط، الفيروز آباديّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، د.ت.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزّمخشريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت.
- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تصوير بالأفست في مكتبة المثنّى، بغداد، د.ت.
- مقدّمة ابن خلدون، ابن خلدون، بتحقيق علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٤م.
- وفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، بتحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

* * *